الأهرام
١٩٧٥/٢/٢٣

صباح الخير

أحزان الكتاب العربى والانسان العربى !
فى حنجرة أم كلثوم خبأنا دفاتر مذكراتنا

★ سألت نزار صباغ : لمن تكتب ؟ من تريد أن يقرأ ؟

ـ أريد أن أدخل فى أصغر ثقب فى هذه الأرض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج .

انني أعرف أن طموح كلماتي طموح مجنون . ولكنني مع الأسف لا أستطيع أن أقنع طموحي بأن يتخلى عن طموحه!

الناس .. كل الناس .. بدون استثناء هم المسرح الذى أجرب عليه بروفاتي الشعرية

والجمهور ـ دون تحديد حجمه أو مساحته الثقافية ـ هو المستفيد الوحيد مما نكتب .. أو نرسم .. أو ننحت .. أو نغني ..

ليست القضية هى أن نتعالى للجمهور أو ينعالى لنا .. فنظام الشرفات فى الأدب نظام سخيف .. وهو يدخلنا فى نوع من التفرقة النقاشة ، نختلف من حيث البشاعة عن التفرقة العنصرية .

ان الفكر مطر يسقط على كل النوافذ .. وهقل من القمح يأكل منه كل الجائعين والمعذبين فى الأرض ..

ان نظرية البرج العاجى التى كانت الموضة الدارجة فى عام ١٩٠٠ اصبحت الآن موضة مضحكة .. فقد نسفها الفكر الاشتراكى من جذورها .. ولم يعد لها وجود الا فى قاموس لاروس .

ـ هل استطعت بمجموعاتك الشعرية أن تحقق حلمك الكبير وتصل الى القاعدة الجماهيرية الواسعة ؟

ـ تحقق بعض الحلم ولم يتحقق كل الحلم . لان الحلم فى العالم العربى يصطدم بالوف الحواجز واشارات منع المرور !

انني أحلم بيوم يأتي أكون فيه قادرا على طبع ١٠٠ الف نسخة من ديوان شعر جديد لي .. على ورق بسيط .. وباخراج بسيط . . وبسعر لا يزيد عن سعر رغيف الخبز .. فى عالم عربى تعداده ١٤٠ مليونا يبدو رقم المائة الف نسخة من ديوان شعر رقما متواضعا ولا يثير الدهشة . لكن الكتاب العربى ، كالانسان العربى ، لا يزال مضطرا الى الوقوف على الحدود العربية يسأل على الكتاب العربى ان يملأ الاستمارات ويقدم شهادة حسن سلوك وشهادة صحية تثبت خلوه من الامراض السارية .. وتصريحا بما يحمل من عملات اجنبية ..

هذه هى أحزان الكتاب العربى . الا تلاحظون كم تشبه أحزان الانسان العربى ؟

ـ وأم كلثوم .. كيف كنت تراها ؟

ـ ان أم كلثوم هى هذه الزهرة التى خرجت من شقوق التراب فى قرية طماى الزهايرة لتغير كل المعدلات القديمة التى كنا نعرفها عن الازهار .. واشكالها .. ومواسمها .. وروائحها ..

يا أم كلثوم .. ابتدأ تاريخ جديد للازهار .. وتاريخ جديد للمطر المنبعث من حدائق الله ..

أم كلثوم هى هذا الصوت الخرافى الذى ظل يعوم لمدة خمسين عاما كزهرة جاردينيا مع كرياننا الحمراء والبيضاء .. ويسبح كقمر أزرق فى سماء عيوننا ..

فى خيوط منديلها الحريرى .. تجمعت كل دموعنا ..

وفى حنجرتها خبأنا دفاتر مذكراتنا .. وخبأنا طفولتنا .. وخبأنا أعمارنا ..

والذين ولدوا فى مطلع هذا القرن ، يستطيعون بكل سهولة أن يقرأوا تاريخ حبانهم منقوشا على حبال صوتها ..

صدرت فى العالم العربى على مدى ٧٥ سنة بلا توقف ..

أم كلثوم هى أعظم جريدة يومية كان توزيعها خرافيا .. ومانشيتاتها خرافية .. واطلالتها على الناس خرافية .

كان يقرأها الاطفال الذين لا يعرفون القراءة ..

والعصافير التى لم تذهب الى المدارس بعد ..

صوت أم كلثوم هو الخريطة النفسية للعالم العربى ..

صوت أم كلثوم هو نحن ! ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية